استشراف مستقبل العالم العربي

د. اسامة الغزالي حرب، **مستقبل الصراع العربي ـ الاسرائيلي**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧، ٢٤٠ صفحة.

في تقديم الناشر، يتضح ان هذا الكتاب هو أحد خمسة مجلّدات حول «العرب والعالم»، ستصدر في اطار مشروع استشراف مستقبل العالم العربي. وستتناول المجلدات الأربعة الاخرى: العرب ومستقبل النظام العالمي؛ العرب ودول الجوار الجغرافي؛ القوى الخمس الكبرى والوطن العربي، دراسة مستقبلية؛ العرب والعالم. ومسألة الحكم على مدى تناسق المشروع، بكل اجزائه، أمر لا يمكن البتّ به الاّ بقراءة المجلّدات الخمسة كلها، خاصة وقد أوضح التقديم المشار اليه، ان المشروع انطوى على أربعة محاور مترابطة، في حين ذكر مؤلف هذا الكتاب، في تصديره، ان المشروع يشمل ثلاثة محاور رئيسة. وعلى أية حال، فان الكتاب الحالي نموذج للتكامل الفكري والترابط المفاهيمي الذي يطرح مقولة علمية ويثبتها بالحجة.

ويبرز المؤلف ان هناك ثلاثة مشاهد (سيناريوهات) مستقبلية تحدّد التصوّرات المختلفة لمستقبل العالم العربي: استمرار منطق تجزئة الوطن العربي، وقيام أشكال وسيطة للتنسيق والتعاون، وقيام الوحدة العربية، أو ما يسميه، على التوالي، المشهد المستقبلي الاتجاهي، والمشهد المستقبلي الاصلاحي، والمشهد المستقبلي التحويلي. ومع ان كل الامور تؤكد ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي يحتل مكاناً مركزياً في تفاعلات العالم العربي مع غيره، وان هذا يمكن ان يظل قائماً طوال العقود الثلاثة المقبلة، وهي فترة الاستشراف، فان للمؤلف كل الحق في ان يؤكد ان هذا الصراع «ليس من قبيل الظواهر المبسّطة القابلة للقياس الكمّي، وانه يجري في جنوب العالم، حيث يزداد التغيّر وعدم الاستقرار، وانه يمثّل علاقة معقّدة تتداخل فيها أطراف متعددة».

وأهمية الدراسة تكمن في انها تجيء في اطار الأخذ بالميزة التي يتمتع بها العدو الاسرائيلي، وهي القدرة على التنبؤ بالمستقبل، والتحكّم فيه، بل وصنعه. وهي تسعى ـ كما ذكر الكاتب ـ الى التعبير عن «وجهة نظر عربية» حول مستقبل الصراع.

في الفصل الأول من الكتاب «معطيات الخبرة التاريخية»، أوضح الكاتب ان محدّدات الصراع العربي ـ الاسرائيلي تتمثّل في:

- التناقض بين «الكيف» الاسرائيلي و«الكم» العربي. وقد استطاع أولهما ان يحدّ من الثاني، وذلك بفضل انتمائه الى عالم متفوّق حضارياً، وقوة ايديولوجيا الصهيونية كعنصر عقيدي، والتحدي العربي الذي جعله ضرورة «وجود». وتبدت مظاهر هذا التفوّق في الكيف على الكم في «القدرة على التخطيط، والكفاءة في الاداء، والقدرة على المبادرة».
- الطابع «التحوّلي» و«المتغير» للمرحلة التاريخية، ممّا أدى الى تأثّر المواجهة بحقيقة ان البلاد العربية تمرّ بمرحلة تحوّل وتكريس واثبات للذات، وباسهامها في دعم «الدولة» في الوطن العربي؛ وعلى الجانب المقابل، أدى ذلك الى اتاحة الفرصة لاسرائيل لتدعيم ذاتها على جميع المستويات. وهنا طرح المؤلف فكرة أساسية، هي ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي كان أحد الميادين الهامة التي سعت النخب الحاكمة عبرها الى دعم شرعيتها ومواجهة خطر التغيرات السياسية والاجتماعية العنيفة عليها.
- انتماء أطراف النزاع الى القوى «التابعة» في العالم. وقد مارست هذه العلاقة تأثيراً حاسماً على